

الترجمة والتعددية اللغوية والثقافية

بصافي رشيدة

جامعة وهران 1 احمد بن بلة

Abstract

La traduction est très demandée dans les études concernant les cultures afin de démontrer les changements linguistiques et autres dans une culture bien précise. Et de là la langue est le fruit de la culture, cette dernière a ses propres caractéristiques qu'il faut différencier d'une autre culture et la met dans un cadre de la diversité culturelle et humaine. Et ainsi le rôle du traducteur se manifeste mieux dans cette diversité entre deux cultures différentes.

« La traduction est une activité qui prend en considération deux langues, donc deux cultures avec leurs propriétés car le travail de la traduction nécessite deux langues différentes. Le traducteur se trouvera médiateur entre la culture d'origine et la culture à atteindre » D'après Gedeon Toury.

Et c'est cela le but du traducteur de concilier entre ces deux cultures.

L'intérêt de la traduction c'est de prendre en considération le passage culturel, civilisationnel et linguistique.

La relation entre la langue et la culture suscite les critiques que la traduction veut dépasser.

تعتبر الترجمة مفهوم يستخدم في الدراسات الثقافية للدلالة على عملية التحول اللغوي أو غيره في ثقافة معينة وبالتالي أن اللغة هي وليدة الثقافة بعينها وهذه الثقافة تنتج من بيئة لها خصائصها المتميزة من غيرها من البيئات في إطار التنوع الثقافي والإنساني وكما يبرز لنادور المترجم في ظل هذا التنوع والصيغة التي يجدها مع هذا الاختلاف في ظل ثقافتين وبيئتين متنوعتين.

وكما يقول المنظر "جيدان توري" Gedeon Toury، إن الترجمة هي ذلك النشاط الذي يتناول لغتين وثقافتين بشروطهما على اعتبار إن العمل الترجمي يتعامل مع لغتين مختلفتين. فالمترجم بطبيعة الحال يجد نفسه وسيط ما بين الثقافة المصدر والثقافة الهدف. وهذا هو الدور الأساسي في عملة الترجمة فلا يسعى الى تغليب الثقافة المصدر على حساب الثقافة الهدف حتى لا يثير إشكال في ذهن القارئ.

فالاهتمام بالترجمة من بين العمليات الذهنية فلا بد من ذلك العبور الثقافي والحضاري والمعرفي واللغوي إذ هنالك دورا تختزنه السياقات والبنى اللغوية في مجالات وحقول معرفية، فكرية وثقافية.

فالترجمة إذن هي نقل المضمون من لغة المصدر إلى اللغة الهدف، إذ أنها تعبر عن ذلك المحتوى الشخصي للمترجم فانه يعتبر إبداعا والقدرة على دمج تلك الثقافات وبالتالي التواصل مع الأجناس البشرية والاستفادة من خبرات بعضهم البعض فهي إذن ذوق وفن وعلم واختصاص معرفي واسع المجال.

العلاقة بين اللغة والثقافة، من حيث التداخل والتشابك تأخذ نمطا فكريا وجدليا، ويتولد عنهما الكثير من المعايير التي تساهم في إغناء كل واحدة منهن لحساب الأخرى، فاللغة تكون نتاجا وتطورا فكريا للإنسان ويحدد بها نمط تفكيره ومستوى حياته، مما يجعل تنوع اللغات ينتج عنه كثير من أنماط التفكير الإنساني، وهذه الأنماط الفكرية والمسافات المعرفية وتعددتها سينتج عنها الكثير من التصورات، وهذا ما يشكل الجزء الكبير بما ندعوه بالثقافة، كما أن الثقافة هي الأخرى لا تقف عند حد اللغة فحسب، بل تتعداها ليتشكل أمام اللغة مساحة واسعة لاستنباط الدلالات والرموز التي تغني اللغة، وإن المساحات التي تتقاطع فيها مفهوم اللغة مع مفهوم الثقافة كثيرة ومتشعبة ومتداخلة، حتى يصعب علينا فك كل واحدة عن الأخرى، وفي هذه الحالة يمكننا القول إن حالات التشابك هي الممرات والقنوات التي تمرر إسهامات اللغة في الثقافة وتطورها، وكذلك إسهامات الثقافة في اللغة.

1- عملية الترجمة والتنوع الثقافي:

تعد الترجمة وسيلة ابلاغية لعوامل اجتماعية سياسية فكرية وايدولوجية باعتبارها تجمع بين التنوع الثقافي والإنساني فهي تنتج عن بيئة لها خصائصها المميزة وفي إطار هذا التنوع الثقافي والإنساني كما تقول الآية الكريمة: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)¹¹

¹ - الآية 13 منسورة الحجرات

فمن خلال هذه السورة فإن الترجمة فهي تندرج في مفهومين متنوعين ومختلفين أو بيئتين مختلفتين ، وهنا يبرز لنا دور المترجم في ظل هذا التنوع الثقافي، فلا بد على المترجم أن يجد الطريقة المناسبة لكي يتعامل مع هذا الاختلاف والتنوع في النص وفي هذا الصدد يقول جيديان توري "Gideon Toury" إن الترجمة هي ذلك النشاط الذي لا بد أن يتناول لغتين وثقافتين بشروطهما" فالمترجم يجد نفسه وسيط بين الثقافة المصدر والثقافة الهدف في عملية الترجمة فلا يسعى إلى تغليب الثقافة المصدر على حساب ثقافة الهدف فهذه مسؤولية ومهام المترجم التي تقع على عاتقه فعلم أن يحسن التصرف مع تعامله مع النص، فالمترجم إذن إما ان يعدل في النص المصدر من حيث المعنى لكي يلفت انتباه القارئ حتى يستفيد منه اللغة والثقافة أو العكس .

لا بد من اقتحام مسألة الثقافتين في الأصل تعبر عن مشكلة الغير فالترجمة أصبحت رديفة المواقفة « acculturation » فهما يختزلان واقع تعايش الثقافات المختلفة.

ولاستيعاب أكثر في خضم هذه التغيرات الثقافية، يبدو أن دور المترجم يكمن في الأخذ والعطاء والاستيعاب والإضافة عبر آلية المواقفة ذاتها تتعدى عملية التمازج في إطار التنوع والاختلاف الثقافي الذي ينتج عنه فعلا ثقافيا جديدا.

كما أن الترجمة هي سلوك لغوي يمارسه كل إنسان في مرحلة معينة من مراحل حياته، كما هو الحال بالنسبة للأشخاص ثنائي اللغة، والذين يمارسون الترجمة بتلقائية وطبيعة تامة دون أدنى تكلف. وهو ما يطلق عليه (الترجمة الطبيعية). فهل المترجم هو مقيد أم حر في ترجمته وهل ينبغي أن يكون ملما بثقافات متعددة ومختلفة ؟

فالمترجم اذن في حالة ما إذا اقتحم مسألة الترجمة فينبغي إن يكون لديه تعددية ثقافية علاوة على المستوى اللغوي "تشكل التعددية الثقافية لوحة فسيفسائية من الثقافات المتعددة، ذات الحدود المرسومة بدقة صارمة تجعل لكل ثقافة على حدا مجالها الخاص بها."²¹

¹ - ميلاري (غاستون)، التعددية الثقافية والتربية في القرن الحادي والعشرين. تر، محمد بن الشيخ. مجلة فكر ونقد، العدد 12.

2- مفهوم التعددية الثقافية في الترجمة:

تشير عبارة التنوع الثقافي على المستوى اللغوي إلى اتسام الثقافة البشرية بسمه التنوع أي كونها تتباين وتختلف كما تتشابه وتتطابق مضمونا وشكلا على نحو يجعلها تتمايز إلى أنواع. وهذا المعنى اللغوي لا تعدو عبارة التنوع الثقافي أن تكون وصفا للواقع الثقافي البشري منظورا إليه من زاوية التباين أو الاختلاف والتشابه أو التطابق على المستوى الجمعي في نفس الزمن من جماعة إلى جماعة متزامنة معها. ومع هذا التباين أو التطابق الثقافي يمكن ملاحظتهما على مستوى أفراد الجماعة الواحدة ككل في أزمان مختلفة من تاريخها وعلى مستوى الفرد الواحد في مراحل زمنية مختلفة من عمره إلا أن المعنى المتبادر للذهن و- ربما لذلك - المعترف لغويا لعبارة التنوع الثقافي هو تنوع الثقافة واختلافها من جماعة إلى أخرى متزامنة.

ويتصل برمز "التنوع الثقافي" رمز الآخر هو رمز التعدد الثقافي حيث كثيرا ما يستخدم الرمزان كمترادفين تقريبا سواء في مدلوليهما اللغويين أو مفهوميهما الاصطلاحيين، بيد أن هناك اتجاهات للتمييز بينهما وخاصة في الاستخدام العلمي على أسس مختلفة. ومن تلك الأسس مدى الاختلاف، حيث يشار هنا إلى أنه بينما التعدد يشير إلى مطلق الاختلاف غير المحدود والذي يحتمل الوصول إلى درجة التناقض المستلزم للاصطدام بين المتعددات فإن- في المقابل - التنوع يشير إلى الاختلاف (من نواح) بقدر ما يشير إلى التشابه والتطابق (من نواح أخرى) بين الأنواع مما يعني إن الاختلاف هنا محدود ولا يستلزم الاصطدام والشائع في إطلاق وصف الأنواع على أفراد أو مفردات هو مراعات أو ملاحظة اشتراكها في أصل واحد أو انتمائها إليه. (النوع في المنطق والنوع في الأحياء).

ومما يتصل بمصطلح التنوع الثقافي مصطلحات مثل الخصوصية الثقافية والهوية الثقافية والاستثناء الثقافي. فبدون الإقرار بوجود التنوع أو تعدد ثقافي يعتذر الزعم بوجود خصوصيات ثقافية أو هويات ثقافية تبرر مطلب الاستثناء الثقافي.

تختلف المجتمعات عن بعضها البعض في مدى انفتاحها على غيرها وماذا انغلاقها على ذلك الغير، ففي هضبة التبييت وبعض الجزر الباسيفيكية وإفريقيا، مثلا توجد مجتمعات منغلقة على نفسها، تكون النتيجة الطبيعية لهذا هي بقاء تلك

المجتمعات في ثقافة واحدة لكل منها. وعلى العكس من ذلك فإن المجتمعات الأمريكية والأوروبية التي تفتح على غيرها، تعتبر بالتالي متعددة الثقافة. يجد الكثير من الأفراد صعوبة في تقبل الثقافات الأخرى، ويميلون للبحث عن يشبهونهم من الأفراد في العادات والأفكار، يعني ضمن ثقافة متجانسة. ويسمى الضيق الذي يشعر به هؤلاء حين يمتزجون مع من لا يشبهونهم وما ينتج عن ذلك من رفض للاختلاف صدمة ثقافية. وقد تزول هذه الصدمة إذا ما عاش الفرد الثقافة المغايرة فترة تكفي لفهم تلك الثقافات.

التعايش المشار اليه يحدث على مستوى الافراد او الجماعات الصغيرة نسبيا والتي تنتقل للعيش ضمن مجتمعات أكبر ذات ثقافة مختلفة ومهيمنة. ويؤدي ذلك التعايش احيانا الى فقدان أولئك الافراد او الجماعات سماتهم الثقافية المميزة وانماجهم في الثقافة المهيمنة في عملية يطلق عليها الامتصاص الثقافي، وما حدث للكثير من الهنود الحمر نتيجة الهجرة الأوروبية إلى أمريكا الشمالية مثال لذلك الامتصاص، كما أنه ما حدث للكثير.

من الجماعات العرقية التي دخلت الإسلام طوال التاريخ الإسلامي مثال آخر، وكذلك هو الحال مع بعض المسلمين الذين بقوا في الأندلس بعد انتهاء الحكم العربي الإسلامي هناك، فقد ذابت تلك المجتمعات في الثقافة الجديدة سواء كان ذلك طوعا أو كرها.

وهذا التنوع الثقافي يرمز إلى مفهوم ظهر مؤخرا وما زال في طور التشكل والتكون ويستنتج من الأدبيات ذات الصلة أن هذا المفهوم، بشكل عام يتمحور حول التأكيد على ايجابية التنوع الثقافي وأهمية استمراره وعلى مختلف أنواع الثقافات في حفظ كيانه واحترام أوجه اختلافها وتميزها وحماية صناعاتها الثقافية وضرورة تقنين هذا الحق دوليا. ومن الواضح أنه مع هذا المفهوم يبني تقريبا على ذات المدلول اللغوي لعبارة التنوع الثقافي المشار إليه أنفا إلا أنه يتجاوز الطابع الوصفي بذلك المدلول والذي يكاد يكون محل إجماع لكونها يعكس واقعنا حاليا، ويضفي عليه بعدا تقييميا وتقنيا يثير خلاف. ويصطدم بالواقع الذي شهد ويشهد محاولات وسياسات عملية. وأحيانا تقصى ثقافة معينة استهدفت أضعافا أول إقصاء أو محو ثقافات معينة.

2- إيجابيات وسلبيات التنوع الثقافي في الترجمة:

تعدد وتنوع الثقافات البشرية يخدم المترجم من الناحية اللغوية إلا أن هنالك مساوئ مختلفة وهي على النحو التالي:

- ✓ التعرف على الثقافات الأخرى في المجتمع: عاداتها تقاليدها وقيامها
- ✓ الاعتراف بشرعية الثقافات الأخرى في المجتمع بأنها مركب هام ولا يتجزأ من المجتمع. الحوار يعطي المجموعات التعرف على حقوقها.
- ✓ المساواة بين الثقافات المختلفة في المجتمع فلا يوجد مركز وضاحية في المجتمع. لا توجد هرمية وثقافة واحدة مهيمنة.
- ✓ الاحترام المتبادل بين الثقافات في المجتمع وتطور النقد الذاتي والتحقيق الذاتي للفرد والثقافة في المجتمع.
- ✓ إعطاء فرصة جديدة تضمن وتحقق الحريات والمساواة بين الثقافات المختلفة في المجتمع مثل سن القوانين: " قانون اساسي احترام الإنسان وحرته " و" قانون أساسي حرية التشغيل والمهنة "

أما سلبيات التنوع الثقافي في الترجمة فتكمن فيما يلي:

- ✓ التعددية الثقافية يمكن أن تؤدي لتفكيك المجتمع. وحدته والنسيج الاجتماعي بداخله فيصبح المجتمع كالفسفساء لكل ثقافة عاداتها وتقاليدها ونمط حياتها.
- ✓ التعددية الثقافية يمكن أن يؤدي إلى عدم استقرار اجتماعي وفوضى اجتماعية حيث أنه لا يوجد قوانين موحدة لكل الثقافات بسبب الاختلاف في القيم والعادات فلا توجد ثقافة صحيحة، قيادة واحدة...
- ✓ التعددية الثقافية تساعد في انطلاق الثقافة على نفسها وتكوين إطار خاص بها بعيدا عن الإطار المشترك "الدولة" فينتج "عدة دول في دولة واحدة" وهذا يؤدي إلى تفكيك الإطار المشترك الذي يدعى "دولة واحدة للجميع".
- ✓ التعددية الثقافية قد تؤدي إلى صراع عنيف بين الثقافات عند المحاولة لخلق قوانين موحدة دستور موحد للدولة والسيادة فيها وربما ينتهي الأمر بحرب أهلية.

3- دور الثقافة في الترجمة:

ترجمة الثقافة مصطلح يختص بالموضوع، وهو ممارسة نقل النصوص الثقافية من اللغة الأصلية المنتجة لهذه النصوص، إلى لغات أخرى مستقلة ومتفاعلة معها، أما في ثقافة الترجمة فتختص بالموضوع كذلك وهو النظر في الترجمة من جوانبها الثقافية أي الخصائص الثقافية الكلية للترجمة، أما ما يختص بالمنهج فهما المصطلحان الآخران - الترجمة الثقافية وهو ممارسة الترجمة بإتباع منهج يستمد مبادئه من التقريرات والمقولات الثقافية، والثقافة الترجمة هي النظر في القضايا الثقافية، بإتباع طرق تستمد أصولها من التجارب العملية والرؤى النظرية للترجمة.

من خلال هذه المنظورات الثقافية: إن التأويل السينمائي للترجمة ابتداء من باكويسن¹ وانتهاء بأميرتو أيكو² في مؤلفه - تجارب في الترجمة - قد أكد على أهمية فهم الثقافة، ونتيجة لذلك يمكن توصيف مدرك الثقافة على أنه صيرورة الترجمة الكلية.

القابلية الترجمة لثقافة ما هي معيار مهم من معايير خصوصية الثقافة، أما الثقافة تشهد تجديدا من خلال نصوص جديدة وأصبح الحد الفاصل بين دراسات الترجمة والدراسات الثقافية غامضا بعد توسع إبدال ما بعد الكولينيالية ليشمل دراسات الترجمة. لقد تعمق فهم القيمة الثقافية للنص المترجم خاصة فيما يخص أهمية الترجمات لهوية الثقافة المتلقية، أطلق فينوتي مصطلح - سلطه تشكيل الهوية - في كتابه فضائح على قدرة الترجمة في انسجام الثقافة، وكذلك تنشيط المقاومة الثقافية. زيادة لهذا تجرأت الدراسات الثقافية بتقييم مفهوم الهوية من خلال الثقافة، إذا كانت المفاهيم التجريدية مثل الثقافة والشخصية موضوع خلاف بين الفلاسفة والعلماء المنظرين قديما وحديثا، فإن مفهوم الهوية يبدو مستعصيا باعتبارها مفهوم متحرك وفي حالة بناء دائم من

¹ - رومان أوسبيوفيتش باكويسون : بالروسية وعالم لغوي، وناقد أدبي روسي 11 تشرين الأول 1896 من رواد المدرسة الشكلية الروسية، وقد كان احدهم علماء اللغة في القرن العشرين وذلك لجهوده الرائدة في تطوير التحليل التركيبي باللغة والشعر والفن.

² - أومبرتو إيكو بالإيطالية Umberto Eco : فيلسوف إيطالي، وروائي وباحث في القرون الوسطى، ولد في 5 يناير 1932 ويعرف بروايته الشهيرة اسم الورد ومقالاته العديدة، وهو احد النقاد الدلائين في العالم.

خلال الوضعيات التي يكون فيها الأفراد والجماعات ونوعية العلاقات الموجودة بينها وفي كل تلك الوضعيات وما يحدث داخلها من علاقات، يقوم شعور الانتماء بوظيفة في تأكيد الهوية ورسم حدودها.

" إن السبب الوحيد في هذا التحول هو ما خلقته الهوية من أهمية متنامية دائما على الساحة العالمية، فكل ما يسعى الأمة فهو يمس الهوية الثقافية وتجسيدها التاريخي."¹

وبسبب فعالية موضوع العولة والتعارض بين العولمي والمحلي، فقد توصلنا فهم أن المجتمع الذي يأمل في تفعيل خصوصيته لا يمكن أن يغفل النظر في الهوية الثقافية، وأطلق على فهم الحاجة الكبرى للهوية الثقافية للاستيعاب التنمية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتكنولوجية مصطلح -

الانعطافة الثقافية :- يقول سيفرز أن هذه الانعطافة تعني أن التطورات السياسية والاجتماعية المعاصرة وكذلك التطورات الاقتصادية والتكنولوجية العولمية أو المحلية، لا يمكن فهمها إلا من خلال مفهوم الهوية الثقافية.

4-الفعل الترجمي بين التنوع الثقافي والاختلاف:

إن يقال " إذا كان من السهل أن يتخيل المتخيلون أن يقومون المترجمون في ترجمة الحوارات والمحاضر والمفاوضات، فإنه من الصعب جدا ترجمة الثقافات "² نظرا إلى الأمر يدور حول معنى " التنوع والاختلاف " فإننا بإزاء مفهومين متقاربين دون أن ينتهيا، ومتميزين دون أن يتضادا إن يمكن في مقاربة أولية القول بأن التنوع هو تعدد الرؤى والإشكالات والأنماط التعبيرية، وهذا بحد ذاته إغناء للمعرفة واخصاب لها وتعديل لروايتها.

¹ - سليمة (جيهان) "عولمة الثقافة واستراتيجيات التعامل معها في ظل العولمة". من كتاب الثقافة العربية، أسئلة التطور والمستقبل ببروت، مركز دراسات الوحدة العربية 2003 صفحته 236. تواجه الدراسات الثقافية إشكاليات، على مستوى السرد ومستوى الميثا سرد، على مستوى الميثا سرد تحاول دراسات الترجمة توفير حلول لنفس الإشكاليات وعلى مستوى السرد هناك إشكالية الطبيعة الثنائية للترجمة، إن الصعوبات التي تظهر في كتابة تاريخ الترجمة تبين أن التحرك لا يضمن توصيفا فيما يتعلق بالمحتوى، لذلك فإن ثقافة الترجمة يمكن النظر إليها بوصفها عدد معين من النصوص المترجمة، نتحدث في الحالة الأولى عن الاختيار والسياسات الثقافية والمخزون الثقافي واشتغال النصوص المترجمة في ثقافة جديدة، ويمكن أن نستعمل لغات مختلفة للتوصيف.

وفي الحالة الثانية نتحدث عن الترجمات نفسها وطرق الترجمة وأعمال المترجمين، هنا نحتاج إلى مصطلحات مقارنة للإشارة إلى أنواع الترجمة ومن ثم هنالك حاجة الميثاثة الموحدة

² - بيومي (فنديل)، دور الترجمة في عملية الثقاف بين الشعوب، المجلس الأعلى للثقافة، 2004 ص

فالثقافة العربية التي تنتمي اليها من أبرز مظاهرها وأهم مميزاتها انها ثقافة واحدة من جهة اللغة التي هي العربية التي جاء بها الاسلام ودون بها القرآن الكريم، ولكنها ثقافة زاخرة بإبداعات الدول العربية، ومتنوعة بالأشكال والألوان والأصوات والتشكيلات، وأنه للتنوع خصب في إطار الوحدة، إن لكل بلد أنماط ثقافية، وأسلوبه ومشافهاهوتراثه الخصوصي، وكل ذلك روافد تصب في نهر الثقافة العربية الواحدة.

إن اللغة العربية، مثلما تؤكد على ذلك الخطة الشاملة للثقافة العربية، هي أبرز مظاهر الثقافة العربية وأكثرها تعبيراً وأثراً بوصفها وعاء الوجدان القومي، وكثيراً ما تتجمع خلائط عرقية متباينة في إطار ثقافة قومية واحدة نتيجة العامل اللغوي والاجتماعي الموحد.

إن هذا هو التنوع الثقافي، وهو أحد مظاهر قوة هذه الأمة في الإطار العربي القومي الذي يطل أقوامها ولها خصوصيات الذاتية في النطاق الوطني. لكن هذه الخصوصيات المحدودة إذا ما جمعناها وراكمناها إلى بعضها البعض تقدم صورة مشرفة ومتعددة الأبعاد لهذه الثقافة.

ونحن شديدو الاعتزاز بالانتماء لهذه الثقافة، كما ان اعتزازنا أعمق بانتماينا الى الاسلام الحنيف الذي هو دين متكامل الاركان تتجلى مظاهره الحضارية في انسانيته وفي دوره البارز في اخصاب ثقافات وحضارات تنتمي الى الاسلام. وترتبط به وتضوى تحت لوانه. فالثقافة العربية إذا ما نظرنا اليها من هذا الإطار الحضاري الأمثل هي نتاج ثقافات أخرى، تمتد من إفريقيا إلى الصين، ومن آسيا الوسطى إلى بحر الظلمات، وإسهام الأمم والشعوب الأخرى والعلماء من كل هذه الاصقاع في اغنائها هو شكل من أشكال هذا التنوع الإيجابي، فيفضل أولئك العلماء من كل الامم اكتسبت الثقافة العربية والحضارة الإسلامية روافد شتى، وبدت أكثر تنوعاً، وتلك الميزة لم تتوفر لأي ثقافة عداها.

ولعله بفضل هذا التنوع والقدرة الهائلة على الانفتاح على الآخر، اكتساب الثقافة العربية الإسلامية مميزاتها الحالية وإنسانيتها، بمعنى انه أصبح لهذه الثقافة خصائص ومثل وقيم وفاق إنسانية متفردة. تجرى فيها مجرى العناصر المكونة لها. فالأخوة والعدل والمساواة والسلام والحرية والتسامح والتكافل واحترام العقل وكرامة الإنسان والتفكير في الكون، ورفض الظلم والعدوان هي بديهيات في ذاتها

الثقافية وتراثنا الروحي والفكري.

لذلك لا يمكن تصور تنوع ثقافي على معنى العداوة، وعلى معنى المواجهة والكرهية والتحارب، إنما الحقيقة أن التنوع الثقافي هو إغناء للثقافات، وتعزيز لقدراتها، واكتسابها أبعاد إنسانية وإطلاق العنان بأفاقها الإبداعية.

أن الشرط الأساسي للثقافة هو أن تكون مؤثرة إيجابيا، وليس سلبيا، وبهذا المعنى فإن الاختلاف بين الثقافات والدعوة لهيمنة الثقافة على أخرى والاقترار بثقافة عالية وأخرى متدنية، وثقافة كونية وأخرى محلية هو من مصنع السياسات التي تحاول إقامة الحواجز والحدود بين الأمم والشعوب والحيلولة بين التقارب بينها، وقطع حبال التواصل الذي تعد الثقافة أدواته المثلى ووسيلته الأكثر نجاعة وجدوى.

ونحن نضع خاتمة لهذا المقال الذي تناول إشكالية التعددية الثقافية في الترجمة، سنحاول الإشارة إلى أهم ما توصلنا إليه من خلال الطروحات المختلفة التي تطرقنا إليها في مقدمة بحثنا هذا وبالتالي فإن:

الترجمة ليست بعملية بسيطة، بل إنها عملية معقدة، تتطلب من المترجم أن يتصف بصفات معينة، من أهمها القدرة على سرعة الرد والقدرة على التركيز والتمتع بقدر كبير من هدوء الأعصاب والقدرة على الاستمرار في الترجمة لمدة طويلة بالإضافة إلى الإلمام بحصيلة كثيرة من المفردات اللغوية. هناك صعوبات كثيرة يواجهها المترجم وهو ينقل نص من لغة إلى أخرى، لعل أهمها أن تكون له الملكة اللغوية في اللغة المنقول منها وإليها. إن كل مترجم لابد أن يكون على دراية بأن عملية الترجمة والنقل تتطلب منه الملكة اللغوية فحسب بل والمعرفة بثقافة اللغتين (لغة الأصل ولغة الهدف) وأكثر من ذلك معرفة العالم الذي ينتمي إليه الجمهور المستهدف وطريقه التعامل مع الرموز المختلفة التي تكون ذلك العالم.

لا يمكننا الحديث عن الفعل الترجمي دون الحديث عن البعد الثقافي باعتبار صلته المباشرة في عملية الترجمة والنقل من لغة إلى أخرى.

المترجم بسيط حامل لمعارف ثقافية مختلفة، والتعددية الثقافية بمفهومها الواسع جزء لا يتجزأ من الفعل الترجمي هكذا تكون الثقافة أوسع من مجرد الإبداع الأدبي والفني أو الفكري لتصبح حاضنة لإبداعات وابتكارات جديدة ووسائل وأساليب وأدوات وطرق عيش، مبتكرة أو منقولة، تشبع حاجة ضرورية أو

تكون كمالية تتوخى الترفيه أو التزيين أو التجميل، هادفة في كل حال إلى تيسير الأمور وتيسير الحياة وحل المشكلات وحفظ المآثر والمنجزات وإشباع الرغبات وتلبية الأسواق.

ولعلنا نستطيع في ضوء ما تقدم، أن نقول إن الثقافة في جانب مهم من مكوناتها ودلالاتها هي حقول من الخبرات والتجارب والمنجزات المؤثرة لغويا ومعرفيا والتي يمكن من خلالها تمييز الهويات!

وربما تكون اللغة بوصفها مؤسسة المؤسسات، هي التي تحدد انتماء الأفراد وثقافة معينة، وربما تكون علاقة كل فرد بلغته هي جوهر العلاقة التي تساعده على تملك ثقافة معينة، وهو الأمر الذي يعني أن التمكن من اللغة مدخل لا غنى عنه ليتمكن من الثقافة، وأن الأنماط اللغوية ليست مجرد أنظمة وأشكال فحسب وإنما هي عوالم بشرية، وبيوت مكتنزة بأشكال الحياة أي بالثقافة. على المترجم أن يدرك الفوارق الثقافية التي تكمن بين المجتمعات وتأثير تلك الفوارق على الاختلافات في الفعل الترجمي.

المراجع:

1: الآية 13 من سورة الحجرات

²: ميلاري (غاستون)، التعددية الثقافية والتربية في القرن الحادي والعشرين. تر، محمد بن الشيخ. مجلة فكر ونقد، العدد 12.

³: رومان أوسيبوفيتشباكوبيسون : بالروسية وعالم لغوي، وناقد أدبي روسي 11 تشرين الأول 18-1896 من رواد المدرسة الشكلية الروسية، وقد كان احدهم علماء اللغة في القرن العشرين وذلك لجهوده الرائدة في تطوير التحليل التركيبي باللغة والشعر والفن.

⁴: أومبيرتو إكو بالإيطالية Umberto Eco : فيلسوف إيطالي، وروائي وباحث في القرون الوسطى، ولد في 5 يناير 1932 ويعرف بروايته الشهيرة إسم الوردة ومقالاته العديدة، وهو احد النقاد الدلائل في العالم.

⁵: سليمة (جهان) "عولة الثقافة واستراتيجيات التعامل معها في ظل العولة". من كتاب الثقافة العربية، أسئلة التطور والمستقبل بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 2003 صفحة 236.

⁶: بيومي (فنديل)، دور الترجمة في عملية التناقص بين الشعوب، المجلس الأعلى للثقافة، 2004

ص 45

BESSAFI Rachida
Maitre de conférence A
Université d'Oran 1 Ahmed Ben Bella
Domaine de recherche : Traduction
Email :rachida.bessafi@yahoo.com